﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾

[الزمر: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانٌ لحسنِ عاقبةِ المؤمنين بعدَ بيانِ سوءِ عاقبةِ الخاسرين

لَمّا ذَكَر حالَ الكُفّارِ في النّارِ وأنَّ الخاسِرينَ لهم ظُلَلٌ، وبَيَّنَ أنَّ مَن عَبَدَ الأنْدادَ هالِكٌ؛ لِخُروجِهِ عَنْ دائِرَةِ العَقْلِ بِجُرْأةٍ؛ وعَدَمِ تَدْبيرٍ؛ بَيَّنَ حالَ أضْدادِهِمْ من المؤمِنينَ، وناسَبَ الاستِدراكُ هنا؛ إذ هو واقِعٌ بينَ الكافِرينَ والمؤمِنينَ؛ فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غُرَفٞ﴾: جمع غُرْفة، والغُرفَةُ: علّيّة من البناء، وبيتٌ فَوقَ بيت، وسُمّيتْ منازلُ الجنّة غُرَفًا؛ لعلوّها وارتفاعها، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: 75][2]، وتطلقُ الغرفةُ على الحُجرة التي تكون مرتفعةً عن الأرض[3]، ومعنى ﴿غُرَفٞ﴾ علالِيّ بعضُها فوق بعض[4].

2) ﴿مَّبۡنِيَّةٞ﴾: (بني) أصل يدل على بناء الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إلَى بَعْض[5]، والبِناءُ: اسمٌ لِما يبنى بناءً[6]، ومعنى المبنيّة في الآية: المسموكةُ الجدرانِ بحجرٍ وجصٍّ، أو حجرٍ وترابٍ، أو بطوبٍ مشمَّس، ثم توضعُ عليها السُّقُف، وهذا نعتٌ للغرفِ التي فوقها غرفٌ[7]، وأنّها في غايةِ الشِّدَّةِ والقوّة[8].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 193، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 481.
(2) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (غرف).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 210.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 276، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 373.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بني).
(6) الراغب، المفردات: (بنى).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 374.
(8) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 439.

3) ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: (وعد) أصلٌ يدلُّ على ترجيةٍ بقولٍ، يُقال: وعَدْتُه أعِدُه وعْدًا، ويُستعمل في الخير والشرِّ، ويُعدّى بنفسه وبالباء، فيقال: وعَدَهُ الخيرَ، وبالخيرِ، وغلبَ الوعدُ في الخير، والإيعادُ في الشَّرِّ[1]، ووعده الأمرَ: قال له: إنَّه يُجريه له، أو يُنيله إيّاه، ووعده بالخير: منّاهُ به، وبالشَّرِّ: هدَّدَه به[2]، ومعنى ﴿وَعۡدَ ٱللَّـهِ﴾ هنا هو ما وعدهم به من أنّ لهم غُرَفًا[3].

4) ﴿يُخۡلِفُ﴾: مادَّة (خلف) تأتي لمعانٍ، منها التَّغيّرُ وخلافُ القدّام، ومن التَّغيُّر إخلافُ الموعِد، يقال: وعَدَني فأخلَفَني؛ أي: خالَفَ في الميعادِ، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: 77]، والخُلفُ يكونُ في المُستَقبَلِ كالكَذِبِ في الماضي، أو هو أنْ تَعِدَ عِدَةً ولا تُنْجِزَها[4]، ومعنى ﴿لَا يُخۡلِفُ﴾: أنّه سبحانه سينجزُ ما وعدَ به لا محالة.

5) ﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾: الميعاد: مِفْعالٌ من الوعد[5]، والوَعْدُ كما ذكرنا أصله يدلُّ على ترجيةٍ بقولٍ لِما يوجد مستقبلًا، ويُستعملُ في الخير والشَّرِّ[6]، والميعادُ لا يكونُ إلّا وقتًا أو موضعًا[7]، والمعنى: أنّه سبحانه لا يخلفُ ما وعدَ به.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ ما وعدَ اللهُ بـه المـتّـقـين في الجنّة وأنّه وعدٌ مؤكّدٌ

يُبيِّنُ اللهُ ﷻ حُسنَ عاقبةِ المتَّقينَ، فيقولُ: لكِنِ الَّذين اتَّقوا ربَّهم في الدُّنيا، بامتِثالِ أمْرِه، واجتِنابِ نَهْيِه؛ لهم في الجنَّةِ غُرَفٌ عاليةٌ، بَعضُها فَوقَ بَعضٍ، تجري مِن تحتِها الأنهارُ المُتدَفِّقةُ، وعَدَهم اللهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير: (وعد).
(2) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وعد).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 439.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (خلف).
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 405.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وعد).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (وعد).

تعالى بذلك وعْدًا مؤكَّدًا لا يَتخَلَّفُ؛ فهو سُبحانَه لا يُخلِفُ ما وعَدَ به عِبادَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الافتتاح بحرف الاستدراك ﴿لَٰكِنِ﴾:

الإشعارُ بتَضادِّ حالِ المؤمنين وحالِ المشركين وتقريرُ الفارِقِ بيْنَهما

أُعيدَتْ بِشارةُ الَّذين اجتَنَبوا الطّاغوتَ؛ تَفصيلًا لِلإجمالِ الواقِعِ مِن قَبْلُ، وافتُتِحَ الإخبارُ عنهم بحَرفِ الاستدراكِ ﴿لَٰكِنِ﴾؛ لِزيادةِ تَقريرِ الفارِقِ بيْنَ حالِ المُؤمِنينَ وحالِ المُشرِكينَ والمُضادَّةِ بَيْنَهما، فحَرفُ الاستدراكِ هنا لِمُجرَّدِ الإشعارِ بتَضادِّ الحالَيْنِ؛ ليَعلَمَ السّامِعُ أنَّه سيَتلَقَّى حُكمًا مُخالِفًا لِما سبَقَ[2]، وللإشعارِ بذلك الباعِثِ على إبلاغِ المسرّة، وتزجيةِ البشرى على أحسنِ وجهٍ ينعمون له، وتطيبُ ذواتهم به، ولغيرهم عكسُ ذلك من تأسيسِ اغتمامهم، ومواجهتهم بالسّوء، والتَّسجيلِ عليهم بالخسران؛ إذ في الاستظهارِ على حالهم بحالِ مخالفيهم زيادةُ غمٍّ، وبالغُ أسًى وحزنٍ لهم، وعذابٌ مضاعفٌ مكرَّر[3]، وفيه بيانُ عُلوِّ مَنزلةِ المتَّقينَ؛ لأنَّ الاستدراكَ هنا كأنَّه انتشالٌ لهم ممّا سَبَق ذِكرُه مِن الوَعيدِ الشَّديدِ لهؤلاءِ الَّذين حَقَّت عليهم كَلِمةُ العَذابِ[4].

الغرض من التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾:

التَّقوى سببٌ لنوالِ الغُرَفِ العظيمةِ الفخيمةِ الكثيرةِ في الجنّة

المُرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾: الَّذين اجتَنَبوا عِبادةَ الطّاغوتِ، وأنابوا إلى اللّه، واتَّبَعوا أحسَنَ القَولِ، واهتَدَوْا بهَدْيِ اللّه، وكانوا أولي الألبابِ؛ فأتى بالمَوصولِ؛ لِقَصدِ مَدحِهم بمَدلولِ الصِّلةِ، ولِلإيماءِ إلى أنَّ الصِّلةَ سَبَبٌ لِلحُكمِ المَحكومِ به على المَوصولِ، وهو نَوالُهمُ الغُرَفَ[5].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 187، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 722.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 373.
(3) الدسم، سورة الزمر دراسة بلاغية تحليلية، ص: 131.
(4) ابن عثيمين، تفسير سورة الزمر، ص: 167.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 373.

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾:

للمتَّقين غرفٌ عاليةٌ في الجنّة لتحقّقِ التَّقوى منهم في الدُّنيا

أوثر التَّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾؛ للدّلالةِ على تحقّقِ التّقوى ووقوعها منهم، فهم اجتنبوا محارمَ اللّه، وأدَّوا فرائضه في الدُّنيا، فاستحقّوا في الآخرةِ الغرفَ العالية في الجنّة على تقواهم التي تحقّقَتْ منهم في الدُّنيا.

إيثار التَّعبير بالرُّبوبيَّة ﴿رَبَّهُمۡ﴾، وإضافتها إلى ضميرِ المتَّقين:

تشريفُ المتّقينَ برضا ربّهم المحسنِ إليهم؛ لاتّقائهم ما يُسخِطُه

عُدِلَ عن اسم الجَلالةِ إلى لفظِ الرَّبِّ المُضافِ إلى ضَميرِ المُتَّقينَ في قَولِه: ﴿ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾؛ لِما في تلك الإضافةِ مِن تَشريفِهم برِضا رَبِّهم عنهم[1]، ولِما في معنى الإحْسانِ في لفظ الرُّبوبيّة؛ من الإشارة إلى كَرَمِ المُتَّقينَ بِما لَهم مِن أصالَةِ الرَّأْيِ؛ الَّتي أوْجَبَتْ خَوْفَهُمْ؛ مَعَ تَذَكُّرِ الإحْسانِ؛ ليَدُلَّ عَلى أنَّ خَوْفَهم عِنْدَ تَذَكُّرِ الانْتِقامِ أوْلى، فقد جَعلوا بينهم وبينَ سخَطِ المحسنِ إليهم وقايةً في كلِّ حركةٍ وسكنةٍ، فلم يفعلوا شيئًا من ذلك إلّا بنظرٍ يدلّهم على رضاه[2].

الغرض من تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمۡ﴾ على ﴿غُرَفٞ﴾:

المبالغةُ في تخصيصِ الغُرَفِ بالمتّقين واستحقاقِهم لها إكرامًا لهم

في تقديم شبه الجملة ﴿لَهُمۡ﴾ على المسندِ إليه ﴿غُرَفٞ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ مبالغةٌ في تخصيصِ الغُرَف بالمتّقين، فهي خاصّةٌ بهم مقصورةٌ عليهم، وكذلك الاهتمام بالمقدَّم والتَّشويق للمؤخَّر، والغرضُ من كلّ هذا المبالغةُ في استحقاقهم لهذا الجزاء، وبيانُ إكرامِ اللّهِ لهم.

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَهُمۡ﴾:

اختصاصُ المتّقين بالغُرَف مبالغةٌ في إكرامهم

اللّامُ في قوله: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ للاختصاص، والمعنى: أنَّ الغُرَفَ مخصّصةٌ لَهم في الجَنَّةِ دون غيرهم، وقولُه: ﴿مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ لهم أيضًا؛ لأنّ ما فوق البناءِ تابعٌ له، والمعنى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 373.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.

أُعِدَّتْ للَّذين اتّقوا ربّهم في الجَنَّةِ أطباقٌ من الغُرَفِ[1]، والغرضُ المبالغة في إكرامهم باختصاصهم بهذه الغُرَف.

الغرض من تنكير ﴿غُرَفٌ﴾:

نكّرَ البيانُ القرآنيُّ لفظةَ ﴿غُرَفٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾؛ لإفادةِ التّفخيم والتّعظيم والتّكثير، بما يدلُّ على علوِّ هذه الغرف؛ ويزيدُ من بهجةِ ساكنيها، فهي غُرَفٌ كثيرةٌ وعظيمةٌ محكماتٌ "شديدةُ العلوّ"[2]، لا يُحدُّ حدّها ولا يُقدر قدْرُها، فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بَشَر، وحسبُك إشارةً إلى رفعةِ شأنها أنّ اللّهَ جلَّ شأنُهُ بانيها، وقد أشارَ النّبيُّ ﷺ إلى علوّها بقوله: «إنّ أهلَ الجنَّةِ يتراءَون أهلَ الغُرَف من فوقهم، كما تتراءَون الكوكبَ الدُّرّيَّ الغابرَ في الأفق، من المشرقِ أو المغرب؛ لتفاضلِ ما بينهم، قالوا: يا رسولَ الله، تلكَ منازلُ الأنبياء لا يبلغُها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده؛ رجالٌ آمنوا باللّه وصدَّقوا المرسلين»[3]، وفي هذا تبشيرٌ للمتّقين وتثبيتٌ لهم على الحقّ.

غُرَفٌ كثيرةٌ عظيمةٌ محكماتٌ شديدةُ العلوّ للمتّقين تزيدُ في بهجةِ ساكنيها

نكتة التّعبير بالغرف دون الغرفات:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بجمعِ التّكسير ﴿غُرَفٌ﴾ لا بجمعِ القلّة (غرفات)؛ للدّلالةِ على كثرةِ هذه الغُرف التي أعدّها اللّه للمؤمنين، وهذا أنسبُ مع تنكيرِ الغرف الدّالِّ على عظمتها وكثرتها، ومع تكرارِ ذكرِ الغرف في الآية، فكان في التّنكيرِ وجمعِ التّكسير وتكرارِها مبالغةٌ في كثرةِ وعظمةِ الغرف التي أعدّها اللّه للمتّقين في الجنَّة، وفي هذا مزيدُ إنعامٍ وإكرامٍ وتبشيرٍ لهم.

غرفٌ كثيرةٌ أعدّها اللّهُ للمتّقين في الجنّة

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مِّن فَوْقِهَا﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ إمّا ابتدائيَّةٌ، أو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 373 - 374.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (3256).

هي لتأكيدِ تطابقِ الغُرَفِ بعضِها فوقَ بعضٍ، وفي المعنيين دلالةٌ على التصاقِ هذه الغرفِ، فهي أطباقٌ من الغرفِ الملتصقة، بما يومئ إلى أنّ المتّقين متنعِّمون بالتَّنقُّل فيها[1].

غـرفٌ ملتصقةٌ يتنعّمُ المتّقون بالتَّنقُّلِ فيها

الغرض من الإضافة في ﴿فَوْقِهَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أضافَ البيانُ القرآنيّ لفظ (فوق) إلى الضَّميرِ العائد إلى الغُرَف، لا إلى الَّذين اتّقوا، فلم يقلْ: (لهم غُرفٌ من فوقهم)؛ لكونِ الغُرَفِ في قَرارٍ تَقَرُّ بِهِ العُيونُ؛ بخلافِ ظُلَلِ أهلِ النّار[2]، وللإشارةِ إلى أنّ المتّقين مُتَنعِّمونَ بالتَّنقُّلِ في تلك الغُرَفِ، وليسوا محبوسينَ في مَكانِهم، والغرفُ ملتصقةٌ برؤوسهم[3]، وللإشارةِ إلى أنّ الغرفَ شديدةُ العلوِّ، وفي هذا من التّنعّم والإكرامِ ما فيه[4].

فـي الـغـرفِ الشَّديدةِ العلوِّ مزيدُ تنعّمٍ فيها

الغرض من تقديم ﴿مِّن فَوْقِهَا﴾ على ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قدّم ﴿مِّن فَوْقِهَا﴾ على ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ للدّلالةِ على أنّ الأنهارَ تجري من تحتِ تلكَ الغرف العليا والسُّفلى، ولو قال: (لهم غرفٌ مبنيّة تجري من تحتها الأنهار ومن فوقها غرف) لدلّ على أنّ الأنهارَ تجري من تحتِ الغرفِ السُّفلى فقط، ولكنّه في التَّقديمِ شملَ الجريانُ العليا والسُّفلى، ولا عجبَ من جري الماءِ عليها فوقًا وتحتًا، فهي مبنيّةٌ بناءً يتأتّى معه جريُ الأنهارِ من تحتها، وذلك على خلافِ علالي الدُّنيا، فيفيدُ الوصفُ بذلك أنّها سويّتْ تسويةَ البناءِ على الأرض، وجُعلتْ سطحًا واحدًا يتأتّى معه جريُ الأنهارِ عليه، على أنّ مياه

من نعيمِ الجنّة أنّ الأنهار تجري من تحتِ الغرفِ العليا والسُّفلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 374.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 374.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.

الجنّة لَمّا كانت منحدرةً من بُطْنانِ العرشِ - على ما في الحديث - فهي أعلى من الغرف[1].

بلاغة المقابلة:

شتّان بين ما للمتّقين من درجاتٍ عاليةٍ وما للكفرةِ من دَرَكاتٍ سافلةٍ

ما أعدَّهُ اللّه للمتَّقين في قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ مُقابِلٌ لِما جعلَه لأهلِ النّارِ في قَولِه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، وقد خولِفَ بيْنَ الحالَتَين: فجُعِل لِلمُتَّقينَ غُرَفٌ مَوصوفةٌ بأنَّ فَوقَها غُرَفًا تجري من تحتها الأنهار، وجُعِلتْ لِلمُشركينَ ظُلَلٌ مِنَ النّارِ، وكذلك مِن تَحتِهم ظُلَلٌ؛ لِلإشارةِ إلى أنَّ المُتَّقينَ مُتَنعِّمونَ بالتَّنقُّلِ في تلك الغُرَفِ، وإلى أنَّ المُشركينَ مَحبوسونَ في مَكانِهم، وأنَّ الظُّلَلَ مِنَ النّارِ مِن فَوقِهم ومِن تَحتِهم؛ لِتَتَظاهَرَ الظُّلَلُ بتَوجيهِ لَفحِ النّارِ إليهم مِن جَميعِ جِهاتِهم[2]، إضافةً إلى ما تتضمّنهُ المقابلةُ من بيانِ ما أعدّ اللّهُ للمتّقين من درجاتٍ عاليةٍ في جنّاتِ النَّعيمِ بمقابلة ما للكفرةِ من دَرَكاتٍ سافلةٍ في الجحيم[3].

سرّ وصف الغرف بالوصف ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ ومجيئه مفردًا:

غرفٌ حقيقيَّةٌ عاليةٌ مهيَّأةٌ من الآن للمتَّقين تكريمًا لهم

وصْفُ الغُرَفِ بأنّها مبنيَّةٌ في قوله: ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ للإشارةِ إلى رفعةِ شأنِ الغرفِ، حيث إنّ اللّهَ تعالى بانيها[4]، وللدَّلالةِ على أنَّها غُرَفٌ حَقيقيَّةٌ، ليستْ أشياءَ مُشابهةً لِلغُرَفِ؛ فَرْقًا بَيْنَها وبيْنَ الظُّلَلِ الَّتي جُعِلتْ لِلَّذين خَسِروا يَومَ القيامةِ؛ فإنَّ ظُلَلَهم كانتْ مِن نارٍ، أو تشبيهًا لها بالمنازلِ اللّاصقةِ للأرضِ؛ أي: ذِكرُ الوصفِ تَمهيدٌ لقولِه: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ الأنهارَ لا تَجْري إلّا تحتَ المنازلِ السُّفليَّةِ؛ أي: لم يَفُتِ الغُرَفَ العلويَّةَ شَيءٌ مِن مَحاسنِ المنازلِ السُّفليَّةِ، أو أُريدَ أنَّها مُهيَّأةٌ لهم مِنَ الآنَ، "قبل أنْ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 244.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 374.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 249.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 244.

يقدموا عليها؛ زيادةً في تكريمهم وحسنِ لقائهم"[1]، فهي موجودةٌ؛ لأنَّ اسمَ المفعولِ كاسمِ الفاعلِ في اقتِضائِه الاتِّصافَ بالوصفِ في زمَنِ الحالِ؛ فيكونُ إيماءً إلى أنَّ الجنَّةَ مَخلوقةٌ مِنَ الآن، أو أنْ يكونَ الوصفُ احترازًا عن نَوعٍ مِن الغُرَفِ تكونُ نَحتًا في الحَجَرِ في الجبالِ، كغُرَفِ ثَمودَ، أو أنْ يكونَ ﴿مَّبۡنِيَّةٌ﴾ وصفًا للغُرَفِ باعتبارِ ما دلَّ عليه لَفظُها مِن معنى المبنيِّ المُعْتَلي؛ فيكونَ الوصفُ دالًّا على تَمكُّنِ المعنى الموصوفِ؛ أي: مَبنيَّةٌ بِناءً بالغًا الغايةَ في نَوعِه، فقد بُنيتْ عَلَى وجهِ الإحكامِ وأنواعِ الزّينة، وجري المياه وغير ذلك، كقولِهم: لَيلٌ أَلْيَلُ؛ أي: شديدُ الظُّلمةِ، وظِلٌّ ظَليل[2].

وجاء بالوصف ﴿مَّبۡنِيَّةٌ﴾ مُفْرَدًا؛ كَما هو المُطَّردُ في وصْفِ جَمْعِ الكَثْرَةِ لِما لا يَعْقِلُ[3].

سرّ فصل جملة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ عمّا قبلها:

قولُه تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ تتمّةُ وصفِ الغرفِ التي أعدّها اللّهُ للمتّقين في الجنَّة؛ فجملةُ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ صفةٌ ثانية لـ﴿غُرَفٞ﴾ أو حالٌ منها[4]، ولمّا كانتِ المنازلُ لا تَطيبُ إلّا بالماءِ، وكان الجاري أشرَفَ وأحسَنَ[5]؛ بيّن أنّه تَجري مِن تحتِ تلك الغُرَفِ الأنهارُ المُتدَفِّقةُ[6].

لـغـرفِ المتّقين في الجنّة وصفٌ آخـر وهـو أنّها تَجري مِن تحتِها الأنهارُ

غرضُ وصْفِ الغُرف بوصفين: ﴿مَّبۡنِيَّةٌ﴾ و﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾:

وَصَفَ سبحانه الغُرفَ بوصفين: أنّها مبنيّة، وأنّها تجري من تحتها الأنهار؛ وذلك للإشارةِ إلى المبالغةِ في التّنعُّم؛ و"ليكون ذلك

في تعددِ وصفِ الغرفِ مبالغةٌ في تنعُّمِ المتّقين وزيـــــادةٌ في سرورهم

(1) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 210.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 505، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 374 - 375.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 24/ 550.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 40، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 524.

أدعى إلى زيادةِ سرورهم"[1]، فهي بالإضافةِ إلى أنّها مبنيّةٌ عاليةٌ معدّةٌ للمتّقين من الآن وتنتظرهم، فهي أيضًا تجري من تحتها الأنهار؛ لأنّ المنازلَ لا تطيبُ إلّا بالماء، ولأنّ الماءَ الجاريَ أشرفُ وأحسن[2]، والمعنى: تجري من تحتِ الغرفِ جميعًا من الطَّبقة السُّفلى والطَّبقة العليا من غيرِ تفاوتٍ بين العلوّ والسّفل؛ لأنّ القدرةَ صالحةٌ لأكثرَ من ذلك[3].

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿تَجۡرِي﴾:

أنـهـارٌ تـجـري تـحـت الـغـرفِ باستمرارٍ وتجدّدٍ دائـمـةٌ بـدوامِ نعيمِ الجنّة

استعمالُ الفعلِ المضارع في قوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ للدّلالةِ على تجدّدِ واستمرارِ جريان الماءِ تحتَ هذه الغرف، فهو جريانٌ دائمٌ لا ينقطعُ، وهذا يتناسبُ مع دوامِ نعيمِ الجنّة الَّذي لا ينقطع، وفيه تأكيدٌ على حقيقةِ جريانِ الأنهارِ وتقرّرها بشكلٍ قاطع، ممّا يضفي قوّةً على الوعدِ الإلهيّ وثباته، كما أنّ فيه تقريبًا لصورةِ مشهدِ جريان الماء في الجنَّة، فنعيمُ الجنّة ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشر.

الغرض من تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على الفاعل ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

الاهتمامُ بوصفِ موضعِ جريانِ الأنهار إشارةً إلى مزيدِ التّلذّذ

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ شبهَ الجملة ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على الفاعل ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ اهتمامًا بالمقدّم وهو جريانها "من تحتِ تلكَ الغرف؛ أي: عَلَى الأرض؛ أي: من تحتِ أشجارها، فيتلذَّذُ بذلك أصحابُ الغرف العليا والسُّفلى"، وتشويقًا للمؤخّر، وهي الأنهار[4].

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾:

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ إمّا ابتدائيَّةٌ؛

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 210.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 505.

أي: الأنهارُ تبدأ مباشَرَةً مماسَّةً تحتَ الغرفِ وملاصقةً لها، ولو قال: (تجري تحتها) لما دلَّ على ذلك؛ إذ من الممكن أنْ تكونَ بعيدةً، وفي هذا إشارةٌ إلى كمالِ التّنعُّم والتّلذُّذِ والبهجةِ والسُّرور في هذه الغرف، وإمّا صلةٌ؛ لتأكيدِ جريانِ الأنهارِ من تحتِ الغُرف.

أنهارُ الجنّةِ تبدأُ مماسَّةً لتحتِ الغرف ملاصقةً لها لكمالِ التّنعُّمِ والتّلذُّذ

الغرض من الإضافة في ﴿تَحۡتِهَا﴾:

أُضيفَ الظَّرفُ (تحت) إلى الغرف في قوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، ولم يضفْ إلى أهلِ الجنَّة، فلم يقلْ: (تجري من تحتهم)؛ وذلك للدّلالةِ على أنّ الأنهارَ تجري من تحتِ تلك الغرفِ العلويَّة والسُّفليَّة، فيعودُ الضَّميرُ إلى جميعِ الغرف، ولأنّ السّياقَ هنا عن وصفِ هذه الغرف والتَّنعّمِ فيها، فكان الأنسبَ إضافتُها إلى الغرفِ لا إلى أهلها، وكذلك تناسبًا مع قوله: ﴿فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ ولم يقلْ: (فوقهم).

من كمالِ وصفِ الغرفِ بأنّ الأنهارَ تجري من تحتها جميعًا

سرّ فصل جملة ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ عمّا قبلها:

فصَلَ البيانُ القرآنيُّ قولَه تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ عمّا قبلها؛ لما بينهما من كمالِ اتّصال؛ إذا جاءتِ الآيةُ تأكيدًا لما أعدّه اللّهُ للمؤمنين من الغرفِ والمنازل وما فيها من نعيم؛ أي: لمّا ذَكَرَ يومَ القيامةِ وما يكونُ فيه؛ بَيَّن أنَّه أمرٌ لا بُدَّ منه[1]؛ أي: وعَدَهم اللّهُ تلكَ الغُرَف والمَنازِل وعْدًا مؤكَّدًا لا يُخلِفُه؛ فاللّهُ لا يُخلِفُ ما وعَد به عِبادَه، بل يوفي به سُبحانَه[2].

ما أعدّه اللهُ لأهلِ الجنّة من نعيمٍ هو وعدٌ مؤكّدٌ لا بدّ منه

سرُّ التّعبير بالمفعول المطلق ﴿وَعۡدَ﴾:

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بالمصدرِ الدّالّ على الفعلِ النّاصبِ له، وهو واجبُ الإضمارِ في قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾؛ تأكيدًا للوعدِ الَّذي تتضمّنه الآية؛ من كونِ المتّقين لهم تلكَ الغرف المبنيّة[3]؛ أي: وعدهم

مفعولٌ مطلقٌ مؤكِّدٌ للوعدِ الموجود

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 276، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 92، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 722.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.

تعالى بذلك وعدًا لا يخلفه؛ لأنّه سبحانه ليس من شأنه أنْ يخلفَ الموعدَ الَّذي يعدهُ لعباده[1]، ولم يأتِ لفظُ ﴿وَعْدَ﴾ منوَّنًا؛ لكونه جاءَ مضافًا للاسمِ الجليل؛ ليفيدَ مع التّأكيدِ نوعَ هذا الوعد؛ بأنّه وعدُ اللهِ الَّذي لا يتخلّف أبدًا.

الغرض من إضافة الوعد إلى الله ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾:

وعـــدُ الـلـهِ متـحـقّـقٌ، فلا يُتصوَّرُ مع اسمه الجليلِ إخلافٌ

إضافةُ ﴿وَعْدَ﴾ إلى الاسمِ الأعظم الجامع لكلّ صفات الجلال والجمال والكمال في قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ مُؤْذِنةٌ بأنَّه وعْدٌ عظيمٌ من العظيمِ سبحانه وموفًى به[2]؛ فإنّه لا يتصوّرُ مع استحضارِ الاسمِ الأعظم وما له من الجلالِ إخلافٌ[3]؛ أي: كلمةُ ﴿وَعْدَ﴾ اكتسبتْ قيمتها والتَّأكيدِ والتَّحقّق فيها من إضافتها إلى الاسمِ الجليل.

كما أنّه تعالى في كثيرٍ من آياتِ الوَعدِ صَرَّح بأنَّ هذا وعْدُ الله، وأنَّه لا يُخلِفُ وعْدَه، ولم يَذكُرْ في آياتِ الوَعيدِ ألبتَّةَ مِثلَ هذا التَّأكيدِ وهذه التَّقويةِ؛ وذلك يدُلُّ على أنَّ جانِبَ الوَعدِ أرجَحُ مِن جانبِ الوَعيدِ[4].

موقع جملة ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ممّا قبلها ودلالته:

تذييلٌ يؤكّدُ أنَّ الوعدَ من اللهِ لا يتخلَّف

وَقَعتْ جُملةُ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ بَيانًا لِمَعنى ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾[5]؛ لأنّ إضافةَ الوعدِ للاسم الجليل تؤذنُ بعدمِ تخلّفه؛ أي: أتبعَ ذلك بيان ما يلزمُ من كونه وعدَهُ بقوله على سبيلِ النَّتيجة: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ﴾[6]، وهو تذليلٌ يحقّقُ الكلامَ السّابق ويؤكّده.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 210.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 375.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 439.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 375.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 483.

دلالة النَّفي بـ﴿لَا﴾:

استمرارُ عدمِ خُلفهِ سبحانه للميعادِ دليلٌ على كمالِ صدقه وقدرته

﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ نافيةٌ، وقد استعملها دون (ما) لأنّ ﴿لَا﴾ تخلّصُ المضارعَ للمستقبل، بخلاف (ما)؛ فإنّها تخلّصُ المضارعَ للحال؛ أيْ: أرادَ الحقُّ سبحانه أنْ يبيّنَ استمرارَ عدم خُلفه للميعادِ في الحاضر وفي المستقبل، ولا سيَّما أنّ ما وعدَ اللّهُ به المؤمنينَ من نعيم الجنَّة هو المستقبل، فدلّ على كَمالِ صِدقِه، وكَمالِ قُدرتِه؛ لأنَّ إخلافَ الميعادِ إمّا أنْ يكونَ لكَذِبِ الواعِدِ، وإمّا أن يكونَ لِعَجزِه، واللّهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن هذا وذاك؛ فهو كامِلُ الصِّدقِ، كامِلُ القُدرةِ[1].

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يُخۡلِفُ﴾:

في استمرارِ وتأكُّدِ حقيقةِ عدمِ خُلفِ اللهِ لوعده أبدًا مزيدُ طَمْأنةٍ للمؤمنين

استعملَ القرآنُ صيغة الفعل المضارع المنفيِّ فقال: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾؛ للدّلالة على تجدّدِ واستمرارِ هذا النَّفي، فاللّهُ تعالى لا يخلفُ الميعاد أبدًا، ففي هذا التَّعبير تأكيدٌ على حقيقةِ عدم خلفِ اللّهِ تعالى لوعده أبدًا، وتقرّرُ ذلك بشكلٍ قاطع، ممّا يضفي قوّةً على الوعدِ الإلهيِّ وثباته، وعدم تخلّفه، وفي هذا مزيدُ طمأنةٍ للمؤمنين بما أعدّه اللّه لهم.

الغرض من التَّعبير عن الفاعل بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾:

لا يتصوّرُ مع استحضارِ الاسمِ الأعظم وما له من الجلال والجمال إخلافٌ

في التّعبير عن الفاعلِ سبحانه بالاسمِ الجليل الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمال في قوله تعالى: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ مزيدُ تأكيدٍ بأنّ مَن كانتْ هذه صفاته لا يخلفُ وعده أبدًا، فهو وعدٌ حاصلٌ لا محالة؛ فإنّه لا يتصوّرُ مع استحضارِ الاسمِ الأعظم، وما له من الجلالِ إخلاف[2].

سرّ التَّعبير بالميعاد وإيثاره على غيره:

التَّعبيرُ بكلمةِ ﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾ - التي يرجعُ معناها إلى التَّرْجيةِ

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الزمر، ص: 167.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 482.

بالقول[1] - في فاصلةِ الآية؛ للإيحاءِ بها إلى التّرغيب فيما عندَ اللّه، والبعثِ على كاملِ الإطماع به، وثوْقًا بوعدِ اللّهِ الكريم، الَّذي لا يمكن أنْ يُنقض، وفي ذلك تهييجٌ إلى القيامِ بأسبابها، والتَّشميرِ لها، والعملِ بمقتضاها، وفيه الإشارةُ إلى أنّ أسلوبَ الترْجيةِ والإطماعِ من أساليبِ القرآنِ في التَّربية والتَّثقيفِ والتَّقويمِ والدَّعوةِ والإرشاد[2].

في زيادةِ تأكيدِ المعنى بعثٌ على كاملِ الإطماعِ بما عند اللهِ وثوْقًا بوعدِه

وقد أوثِرَ هذا اللَّفظُ على غيره كـ(الوعد)؛ لكونِ المصدرِ الميميِّ فيه زيادةُ تأكيدٍ للمعنى، والزّيادةُ في المبنى تدلُّ على الزّيادةِ في المعنى، ولم يُعبّر بلفظِ (الموعِد)؛ لأنّه مع كونه مصدرًا ميميًّا يحملُ معنى المكانِ والزَّمانِ فهو على وزن مَفْعِل.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).

(2) الدسم، سورة الزمر دراسة بلاغية تحليلية، ص: 156.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»